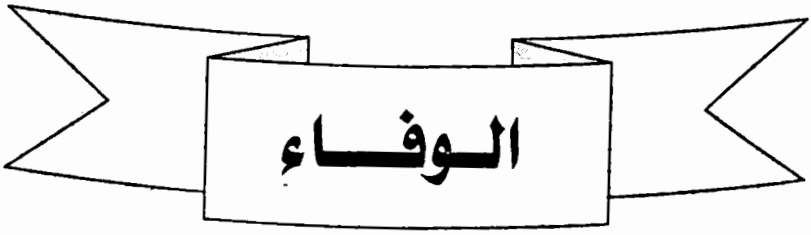

﴿...وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: ١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

أحدثكم عن خلق عظيم من أخلاق الإسلام التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ :

هذا الخلق هو خلق الوفاء.

وتأتي حاجتنا إلى الحديث عن هذا الخلق في هذا الواقع الأليم الذي غلبت فيه المادة على القلوب، وأصبحت هي الموجهة لزمام النفوس.

وأصبح الناس يتساءلون أين الوفاء بالوعود؟ وأين حفظ العهود، وإتمام العقود؟

كل ذلك أصبح من الأمور النادرة التي قلما نجد من يلتزم بها، وما ذلك إلا لأن هذه الأخلاق جميعها من الصدق والأمانة والوفاء وغيرها إنما هي حبات لؤلؤ منتظمة في عقد الأخلاق الإسلامية، وهذه الأخلاق إنما هي جزء من نظام الإسلام بل هي واسطة عقد الإيمان، فإذا ضعف عقد الإيمان ووهى وانفرط، انفرطت معه جميع حبات هذا العقد، وتداعت هذه الأخلاق وتساقطت واحدة تلو الأخرى.

وما هذه الأخلاق إلا بمثابة عرى وروابط وثيقة للإيمان فكلما أحكم المسلم عروة ورابطة منها، فقد أحكم ارتباطه بالإيمان وأوثق نفسه بعروة من عراه الوثيقة،

فإذا اجتمع له قدر من هذه الأخلاق الحميدة، فقد استمسك بالعروة الوثقى عروة الإيمان لا انفصام لها والله سميع عليم.

فهيا أخي المسلم وأختي المسلمة نوثق هذه العروة من عرى الأخلاق التي يحبها الله ورسوله ﷺ، وهي عروة الوفاء.

الوفاء: هو إتمام الإنسان لما أخذه على نفسه من عهد والتزامه به.

والوفاء الشرعي: هو الذي يكون من منطلق الإيمان بالله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، فيلتزم العبد بما يلتزم به طاعة لله ورسوله ﷺ وإيفاء بعهد الله تعالى قبل كل شيء.

*أنواع الوفاء:

الوفاء قد يكون وفاء بالعهد الذي عاهد الإنسان غيره عليه، وقد يكون وفاء بالوعد الذي وعد به، وقد يكون وفاء بالعقد الذي تعاقد عليه كما في عقد المعاملات المختلفة.

۞ الوفاء بالعهد:

والوفاء بالعهد يكون مع الله تعالى، ومع الناس.

وعهد الله تعالى هو أعظم العهود وهو أولاها وأحقها بالوفاء، فالعبد يعاهد الله تعالى على عبادته وطاعته وامتثال أوامره وطاعة رسوله ﷺ، وهذه كلها عهود ومواثيق مع الله تعالى يجب على العبد أن يوفي بها.

أعظم العهود مع الله تعالى:

اعلم أخي المسلم، وأختي المسلمة أن أعظم العهود مع الله تعالى هو عهد التوحيد، ذلك العهد والميثاق الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة كلمة: (لا إله إلا

الله).

(لا إله إلا الله) عهد على عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به.

هذه الكلمة العظيمة هي إقرار منك أنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى، أي أنك تعاهد الله تعالى ألا تتخذ معبودًا غيره.

ومعنى ذلك أن هذا العهد العظيم يتضمن أمرين عظيمين هما:

الأول: أن تعبد الله تعالى.

الثاني: ألا تشرك به شيئًا.

ومعنى الأمر الأول: أن تأتي بالعبادة التي كلفك الله بها على لسان رسوله ﷺ من التوحيد والصلاة والقيام والزكاة والحج وتلاوة القرآن، وبر الوالدين وصلة الأرحام، وحفظ الحقوق، وترك الحرمات والفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن.

ومعنى الأمر الثاني: ألا تشرك به شيئًا، أي: لا تقدم شيئًا من العبادة لغيره، فلا تدعو أحدًا غيره ليجلب لك النفع أو يدفع عنك الضر، فلا يجوز لك أن تستغيث أو تتوسل بأحد من الأولياء، أو تدعوه من دون الله تعالى، ولا يجوز لك أن تقدم شيئًا من الطاعة لغير الله، فلا تطيع أحدًا أبدًا إلا فيما شرع الله تعالى وهكذا.

وهذا هو أعظم أنواع الوفاء بالعهد.

وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بعهده فقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَاهَدُوا﴾[١].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٢].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

﴿أَفَمَن يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَّعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٥].

الوفاء بعهود الناس:

من الوفاء بالعهد كذلك أن تفي بما عاهدت عليه الناس من الخير، فإذا

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) الرعد: ١٩-٢٤.

عاهدت إنسانًا على أمر من الأمور التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ فعليك أن تفي به له، وهذا من الإيمان.

أما إن عاهدته على غير ذلك من الأمور التي يبغضها الله ورسوله ﷺ فليس عليك الوفاء بما عاهدته عليه؛ لأن في الوفاء له بذلك عدم الوفاء لله تعالى، وحق الله تعالى أعظم من حق غيره، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

تغير معنى الوفاء عند الناس في هذه الأيام:

للأسف الشديد تغير معنى الوفاء عند الناس في هذه الأيام فأصبحوا لا يعرفون من الوفاء إلا الوفاء بما نهى الله تعالى عنه، ونهى رسوله ﷺ عن الوفاء به.

فمن أمثلة ذلك أن يتعاهد شاب وفتاة على الوفاء والإخلاص في الحب!

ماذا يعنون بذلك؟

يعنون بذلك أن تظل هذه الفتاة مرتبطة بهذا الشاب في علاقة آثمة لا يرضى عنها الله تعالى ولا رسوله ﷺ، ولا يرضى عنها المؤمنون، كأن يتعاهدوا على اللقاء والتنزه معًا، وأن يتبادلا الحديث والنظر والتلامس ،كل ذلك بغير عقد شرعي صحيح أو بعقود باطلة مزيفة زينها لهم الشيطان مثلما يسمونه بالعقد العرفي، بغير ولي ولا شهود، فهذا باطل لا محالة وعلاقة محرمة.

ومن العهود الباطلة كذلك أن يتعاهد بعض الأصدقاء على السهر والخروج معًا للمعصية في يوم معين كل أسبوع، أو كل ليلة أو نحو ذلك فهذا كله لا يجوز الوفاء به.

أو أن يتعاهدا على السرقة سويًّا، أو على ارتكاب أفعال الإجرام أو الشرب المحرم، أو ارتكاب الفواحش، وأن يتعاقدا ويتعاهدا على أن يكونا معًا في جميع

الأحوال، فكل هذا باطل لا يجوز الوفاء به بحال، بل إن الله تعالى يأمرك بنقض هذا العهد الباطل والتبرؤ منه، ولا يتم إيمانك إلا بنقض ذلك وتركه.

هـذا، وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بعهودهم مع الناس فقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقال ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"[2].

وقد ضرب النبي ﷺ المثل في الوفاء بالعهد في وفائه بعهد زوجته خديجة حتى بعد وفاتها حيث كان يكرم صديقاتها إكرامًا لعهدها.

❁ الوفاء بالوعد:

الوفاء بالوعد من علامات الإيمان، كما أن إخلاف الوعد من علامات النفاق، ولذا قال رسول الله ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر".

وفي حديث سفيان:"وإن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من

---

(١) آل عمران: ٧٦.

(٢) صحيح أخرجه أحمد في "المسند"(٣/ ٤١٤)، وأبو داود(٣٥٣٥)، والترمذي(١٢٦٤)، والحاكم(٢/ ٤٦)، وغيرهم من طريق طلق بن غنام عن شريك وقيس عن أبي الحصين عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا. وقال الترمذي: حديث حسن غريب" وقال الحاكم: "حديث شريك عن أبي حصين صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي. وتعقبهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة(٤٢٤) بقوله: "قلت: وفيه نظر فإن شريكًا إنما أخرج له مسلم له متابعة كما قال الذهبي نفسه في "الميزان" وهو سيئ الحفظ، ومثله متابعة قيس وهو ابن الربيع، لكن الحديث حسن باقترانهما معًا، وهو صحيح لغيره لوروده من طرق أخرى" ولذلك أورده في صحيح الجامع برقم (٢٤٠).

النفاق"[١].

وقال ﷺ: "اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"[٢].

لذا ينبغي على المسلم أن يفي بوعده مع الناس، فإذا واعد إنسانًا أن يأتيه في موعد كذا، فعليه أن يلتزم بهذا الموعد ما أمكن، أو يعتذر قبله بوقت كاف إن لم يتمكن من الإيفاء به، لئلا تكون فيه شعبة من النفاق، ولئلا يضر بالغير، والإضرار بالغير محرم، لأن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[٣]، فهذا الشخص الذي ينتظرك قد تكلف لك بترك عمله وما وراءه وفرّغ نفسه لك، وجلس ينتظرك، وفي هذا إهدار للوقت وهو أثمن ما يمتلك الإنسان.

وعيب على المسلمين أن يقول بعضهم:إنهم قد تعلموا الالتزام بالوعد، والانضباط في المواعيد من غيرهم من الأمم الكافرة.

فكثير من المسلمين يحكي أنه سافر إلى إنجلترا أو إلى أوربا فكان على موعد مع أحد الناس في السادسة مثلاً، فذهب إليه في السادسة وخمس دقائق فلم يستقبله.

أو إنه إذا كان على موعد مع أحدهم في السادسة مثلاً فإن هذا الأجنبي الكافر يأتيه مثلاً قبل موعده بخمس دقائق مثلًا؛ ولا يتأخر عن الموعد المحدد دقيقة

---

(١) أخرجه البخاري في "الإيمان" باب: علامة المنافق(ح٣٤)، وفي مواضع أخرى، وكذا مسلم، في "الإيمان" باب: بيان خصال المنافق(١/ ٢٤٦) واللفظ له ،ط الشعب.

(٢) حسن، أخرجه أحمد في "المسند"(٥/ ٣٢٣)، والحاكم في "المستدرك"(٤/ ٣٥٨-٣٥٩) والبيهقي في "الشعب"(٤/ ٣٢٠)، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع"(٨/ ١٠).

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٦) من حديث عبادة ﷺ.

واحدة.

فنقول: إن هؤلاء ينطلقون في الالتزام بذلك من تقديرهم لقيمة الوقت المادية، وأثره في تقدم الأمم والشعوب، وذلك لغلبة الحياة المادية عليهم.

فالأجدر بالمسلمين أن يلتزموا بذلك كله انطلاقًا من إيمانهم بالله تعالى والتزامًا بأوامر رسوله ﷺ إليهم، وأنهم إذا التزموا بذلك فإنهم يرضون الله تعالى ويوفون بعهده قبل وفائهم بوعود الناس وعهودهم.

كذلك لا يجوز لك أن تخلف وعدك، إذا ما وعدت إنسانًا بعطاء ما، حتى ولو كان طفلاً صغيرًا؛ فقد قالت امرأة لطفلها تعال وأعطيك كذا وكذا، فقال لها النبي ﷺ :"أما إنك لو لم تفعلي، كتبت عليك كذبة"(١).

فهذا ديننا يعلمنا الالتزام مع الناس جميعًا حتى مع الأطفال الصغار، فعلينا أن نفخر بهذا الدين العظيم، وأن نلتزم بأوامره، لا بأن نفخر بسلوك الغرب الكافر الذي ينطلق من عقائد مادية لا من عقيدة إيمانية.

❁ الوفاء بالعقود:

من أنواع الوفاء الواجبة على المسلم كذلك الوفاء بالعقود في جميع المعاملات، فإذا عقد زواجه على شرط من الشروط الصحيحة الشرعية فعليه أن يفي به، كأن يشترط لزوجته أو لأهلها بمهر معين، فعليه أن يفي به، أو بأن يكرمها وألا يهينها، أو لا يخرجها من بلدها، أو بغير ذلك من الشروط الصحيحة.

كذلك، إذا دخل في عقد بيع أو شراء أو غير ذلك فعليه أن يلتزم بأداء ذلك البيع بشروطه الشرعية الصحيحة، ولا يجوز له أن يدخل في عقد من العقود الربوية

(١) صحيح أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/ ٤٤٧).

المحرمة، أو أن يشترط في البيع والشراء شرطًا باطلاً محرمًا.

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

أنتما مرآة الإسلام فعليكما أن تظهرا للناس أخلاق الإسلام وصورته الحسنة، وأخلاقه الفاضلة.

عليكما أن تكونا عنوانًا للوفاء، ومرآة للصدق، وصورة للأمانة.